

احتكار الترائّي تعطيلٌ للسنة النبوية

حمزة المزيني

Originally published by the Al-Sharq Saudi newspaper

<http://www.alsharq.net.sa/2012/08/09/434035>



تؤكد الهيئات الدينية الرسمية في المملكة دائماً أن اتباع السنة النبوية يقضي برفض الحساب وسيلة لإثبات دخول شهر رمضان وخروجه، وأن ترائي الهلال حق مشاع للمسلمين، وأن الترائي سهل على كل أحد. ويبين ذلك قول الشيخ صالح الفوزان (مجلة الدعوة، 1433/8/22هـ): إن «عمل الحاسب عرضة للخطأ، لأنه عمل بشري، ولا يخلو من التعرض، وهو أيضاً إخراج وتضييق، لأن الحساب لا يعرفه كل أحد، ولا يتوفر المختصون فيه في كل زمان ومكان... وديننا مبني على اليسر والسهولة، لا تعقيد فيه. ولذلك أحال المسلمين في فطرمهم وصيامهم على علامة واضحة يعرفها كل أحد وفي كل مكان وزمان، للحاضرة والبادية، للجماعات والأفراد، للمتعلمين والعوام.»

كما توجّه المحكمة العليا، من هذا المنطلق، بياناتها لترائي الهلال، إلى «عموم المسلمين في المملكة»، لا إلى فئة محددة.

لكن الممارسة الفعلية لترائي الهلال طوال الثلاثين سنة الماضية تقريباً لا تتوافق مع هذه المسلمات، مما يعني أنها تعطيل فعلي لتطبيق السنة النبوية على وجهها الصحيح. فقد احتكر أشخاص لا يزيدون على خمسة، على رأسهم «الرائي» عبدالله الخضير، طوال هذه السنوات، الشهادة بروية الهلال، وهم يستأثرون بتعديل المحكمة العليا التلقائي. ويخرج هذا على القول بحق المسلمين جميعاً في ترائي الهلال، وعلى توجيه المحكمة العليا ببيانها لـ «عموم المسلمين في المملكة.»

كما تخالف «روية» الخضير خاصة القول بسهولة الترائي على كل مسلم، ورفض الحساب وسيلة لإدخال الشهر. فقد بين في مقابلات كثيرة أن «رويته» للهلال لا تأتي بطرق طبيعية. وأوضح في محاضراته التي ألقاها في مدينة جلاجل ثاني أيام عيد الفطر الماضي أنه يتابع القمر لعدة ليال في عدد من الشهور، وفي شعبان ورمضان خاصة اللذين يرصد القمر في أكثر لياليهما. وأن ما يقوم به من ترائي للهلال ليس عملية سهّل فهو يتكلف مشاق كبيرة فيها، ويقضي معظم الليالي في قمة جبل بعيد عن قريته لا يصل إليه بسهولة، ويستعين بمساعدين في رصده، ويحدد مسار القمر بعلامات محددة، ويكمن لرويته في مكان مخصص له شروط دقيقة. وأكد أنه لا يمكن لغير المدرب على معرفة منازل القمر رؤية الهلال. ويحتاج الإنسان إلى المرور بتجارب تستغرق وقتاً وجهداً حتى يكتسب هذه المهارة. وهذا عمل يصعب على أكثر الناس، «متعلمهم وعاميهم» تحمل مشقته، وهو يخالف اليسر والسهولة في الترائي اللتين أكدهما الشيخ الفوزان. بل إن «الرائي» الخضير هو الوحيد في المملكة الذي يستطيع القيام بهذه العمليات المرهقة. وهو يتباهى بأنه يعرف الحساب ويشغل به في رصد القمر. وهو ما يخالف موقف الهيئات الدينية الرسمية التي لا تعتمد الحساب في إثبات الأهلّة، وتصف الحاسبين بأنهم «جهلة وأدعياء.» وتشهد محاضراته تلك بأنه ليس شاهداً «بريناً» من الحساب. فهو يقوم بعمليات حسابية دقيقة لرصد الهلال بالدقيقة والثانية، ويصنّف تقاويم مستقبلية لسنوات طويلة، ويتنبأ بالمستقبل. ومن ذلك قوله، في محاضراته العام الماضي، بأن أول شهر رمضان 1433 هـ سيكون في 20 يوليو 2012، وأنه سيكون «اضطراب عظيم» في هلال شوال سنة 2013! وهو يكتب أبحاثاً يرسلها إلى وكالة ناسا الأمريكية. ويعرف معيار بالوب، وينتقده، ويكتشف خطأ علماء الفلك! ومع هذا يقول إنه لا يعتمد على الحساب في «رويته.» ولا أظن علماءنا الأفاضل سيقولون إن هذا ليس حساباً. وترتبط رويته الواهمة، لزوماً، بحساباته البدائية حتى لو سلمنا بقوله عن عدم اعتماده على الحساب.

ومن هنا فقبول شهادة الخضير ومجموعته مخالف للسنة النبوية المطهرة في ترائي الهلال، لقيامها على الحساب، ولاحتكاره هو ومجموعته الصغيرة لهذه الشعيرة احتكاراً دائماً، وحرمان المسلمين جميعاً من المشاركة فيها.

أما تطبيق السنة النبوية المطهرة في ترائي الهلال على الوجه الصحيح فيوجب كسر هذا الاحتكار عن هذه الشعيرة لتكون حقاً مشاعاً للمسلمين كما كانت منذ العهد النبوي، وفكها عن «الحساب»، خاصة أن حسابات الخضير أكثر تعرضاً للخطأ من غيرها.

وتوجب أسباب أخرى تصرف النظر عن شهادة الخضير ومجموعته كذلك. منها كثرة التناقض في أقواله مما يجعل الاعتماد عليه أمراً غير مقبول.

ومن تناقضاته ما يتعلق برويته «الهِلال» قبل غروب الشمس. فهو يقول في محاضراته في جلاله إن رؤية الهلال قبل الغروب مستحيلة لشدة وهج الشمس. لكنه صرح لصحيفة «الوطن» في 1431/9/2هـ بأن شهادته رفضت في إحدى المرات مع أنها كانت «صحيحة ولكنها تمت قبل غروب الشمس بـ13 دقيقة من قبلي واثنين آخرين أحدهما بالمنظار. وبناء على هذه المعطيات لم تعتمد رؤيتنا لأنها كانت قبل مغيب الشمس!» وأشار بيان المحكمة العليا عن إكمال شعبان 1432هـ إلى رؤية الهلال قبل الغروب. وربما كانت تشير إلى شهادته!

وهو متناقض في موقفه من الفلكيين: فمرة يثني عليهم، لكنه يتهمهم بعدم الكفاءة، ويتهم البرامج التي يستخدمونها بأنها غير دقيقة أحياناً.

وهو يحاول إضفاء الأهمية على نفسه بذكره لبعض إنجازاته. ومنها ما ذكره عن تفوقه على أحد فلكيي مدينة الملك عبد العزيز في رصد غروب الشمس. وقد رد المتخصصون عليه (الرياض، 1426/9/21هـ) بأن «ما ذكره غير صحيح وما تم مناقشته معه كان موضوعاً مختلفاً تماماً». وكذلك ادعاؤه رؤية هلال رمضان 1426هـ ظهراً بعد انتهاء كسوف الشمس، مع أن ما رآه، إن رأى شيئاً، كان قوس الشمس بعد انزياح القمر عن محاذاتها.

وقد هاجم بعنف، هو وبعض المداخلين في محاضراته في جلاله، «العامّة» الذين يتدخلون في أمور الأهلّة التي لا تعنيهم، لأنه لا قول لهم بعد قول الشهود (هو ومجموعته)! وهذا تأكيد لاحتكاره لهذه الشعيرة ودفاعه عن هذا الاحتكار وتقليله من شأن المسلمين وسلب حقهم في اتباع السنة النبوية المطهرة. وتتضمن بعض مقابلاته ادعاءات يصعب تصديقها.

ومن أطرفها قوله في مقابلة مع مجلة «آيات» (1431/10/9هـ) إنه «أعمل وكيل مدرسة وأستطيع رؤية (العلوك) و(البسكوت) التي يضعها الطلاب بين أجسامهم و(الفنيلة) من خلف الثوب، وأطلب منهم إخراجها قبل دخولهم». يا ساتر!

لذلك كله، يوجب احتكار الخضيرى ومجموعته لرؤية الهلال ومخالفة ذلك للسنة النبوية المطهرة التي يحرص علماءنا الأفاضل على التقيد بها في ترائي الأهلّة، واستنقاذ هذه الشعيرة من أيدي هؤلاء المحتكرين الحسابيين الوَهْمَةِ.